002- مبحث التوحيد - الخطيب البغدادي: القائلين بأخذ صفات الله بظاهرها دون تأول هم سبب ضلال الأمة

الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي ج2 ص107-108 رقم1317: وَيَتَجَنَّبُ الْمُحَدِّثُ فِي أَمَالِيهِ رِوَايَةِ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ عُقُولُ الْعَوَامِّ لِمَا لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ دُخُولِ الْخَطَأِ وَالْأَوْهَامِ وَأَنْ يُشَبِّهُوا اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ وَيُلْحِقُوا بِهِ مَا يَسْتَحِيلُ فِي وَصْفِهِ وَذَلِكَ نَحْوُ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ الَّتِي ظَاهِرُهَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ وَإِثْبَاتَ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ لِلْأَزَلِيِّ الْقَدِيمِ وَإِنْ كَانَتِ الْأَحَادِيثُ صِحَاحًا وَلَهَا فِي التَّأْوِيلِ طُرُقٌ وَوُجُوهٌ إِلَّا أَنَّ مِنَ حَقِّهَا أَنْ لَا تُرْوَى إِلَّا لِأَهْلِهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُضَلَّ بِهَا مَنْ جَهِلَ مَعَانِيَهَا فَيَحْمِلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا أَوْ يَسْتَنْكِرُهَا فَيَرُدَّهَا وَيُكَذِّبُ رِوَاتِهَا وَنَقَلَتَهَا

المناقشة:

1- قوله "وَيَتَجَنَّبُ الْمُحَدِّثُ فِي أَمَالِيهِ رِوَايَةِ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ عُقُولُ الْعَوَامِّ لِمَا لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ دُخُولِ الْخَطَأِ وَالْأَوْهَامِ وَأَنْ يُشَبِّهُوا اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ وَيُلْحِقُوا بِهِ مَا يَسْتَحِيلُ فِي وَصْفِهِ"

بناء على مبنى طائفة أهل الخلاف أن المحدث عليه أن لا يثقف العوام وينشر العلم بل يكتمه، وأما الرافضة كانوا وما زالوا يبثون العلم ويتركون للعامي أن يسأل ويبحث بنفسه، فهذه عقيدة لا يصح كتمانها، لذلك فالمتعين هو التحديث بكل ذلك مع بيانه على الوجه الصحيح.

2- قوله "وَذَلِكَ نَحْوُ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ الَّتِي ظَاهِرُهَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ وَإِثْبَاتَ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ"

وهذا ما وقع فيه أتباع طائفة أهل الخلاف، حيث أثبتوا الصفات على ظواهرها ولكن فرارا من المسألة رفعوا عبارة (يليق بجلاله) أو (الكيفية مجهولة) وهذا في حقيقته لا يعصم من القول بالتجسيم والتشبيه، وإنما يثبت الجسمية والتشبيه ولكن ينكر الكيف أو يثبت أن الكيف يليق بجلاله، ومعلوم لدى الجميع أن كل مخلوق له ما له بكيفية تليق به أيضا.

3- قوله "وَلَهَا فِي التَّأْوِيلِ طُرُقٌ وَوُجُوهٌ"

أي أن لا يؤخذ بظواهرها بل يتعين تأويلها وهذه هي مقولة الرافضة أعلى الله برهانهم، وهذه صفعة لمن يقول أن الألفاظ تؤخذ بظواهرها.

4- قوله "خَوْفًا مِنْ أَنْ يُضَلَّ بِهَا مَنْ جَهِلَ مَعَانِيَهَا فَيَحْمِلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا"

وهذه القاصمة من الخطيب البغدادي للذين يحملون الصفات على ظواهرها دون تأويل.

المحصلة النهائية:

- عند الخطيب البغدادي: الذين لا يؤولون صفات الله ويأخذونها على ظاهرها هم سبب ضلال الأمة.

- عند الخطيب البغدادي: لا يعترف بعبارتي (يليق بجلاله) أو (الكيفية مجهولة) بل التأويل لازم.

والله العالم بحقائق الأمور،،

كتبه قربة إلى الله: القناص الرافضي